

شرح أصول الكافي

[214] اعطيك مثل جنود العقل اختبارا وامتحانا لك وتكميلا للحجة عليك (1) باعطاء سؤلك وانتظارا لرجعتك إلى درجة رفيعة ومنزلة شريفة، فإن المطيع مع العجز وفقد الآلات ليس مثل المطيع مع القدرة على المخالفة، بل أولئك أعظم درجة وأرفع منزلة، ولذلك كانت عبادة الشبان وإناباتهم وإخباتهم أحسن وأشرف من عبادة الشيوخ وإناباتهم وإخباتهم (فإن عصيت بعد ذلك) أي بعد ذلك العصيان بترك الاقبال أو بعد أن أعطيتك جنودا وأنصارا مقابلة لجنود العقل وأنصاره (أخرجتك وجندك من رحمتي) المعدة للمطيعين فتشقى بذلك وتدخل في زمرة الأشرار وتستحق الدخول في الدرك الأسفل من النار، والوجه لكون معصية النفس مع الجنود موجبا للخروج من الرحمة دون معصيتها لامعها أن النفس إذا كانت ضعيفة فاقدة للأنصار كانت أفعالها ناقصة فلم تكن شقاوتها شديدة موجبة للخروج من الرحمة بخلاف ما إذا كانت قوية واجدة لأنصارها وآلاتها فإن سلوكها في طريق الشقاوة وسيرها في منهج الضلالة أفخم، واكتسابها للأخلاق الذميمة والرذائل وإنهما كها في ظلمات الغي والغوائل أعظم فيكون تباعدها عن الرحمة الإلهية والألطف الربانية أكثر وأقوى ودخولها في دركات الجحيم واستحقاقها للعذاب الأليم أقرب وأولى. (قال رضيت) رضي عن الحق باجابة سؤاله أو رضي بالخروج عن الرحمة على تقدير معصيته والنفس وإن كانت مائلة إلى الفساد على سبيل تلك الصفات والأجناد لكن ذلك لا يسلب عنها الاختيار ولا يوجب صدور القبائح عنها على سبيل الاضطرار بل يمكن لها تحصيل الصحة والسلامة عن الوسواس الشيطانية بالادوية والعلاج المقررة لدفع الأمراض النفسانية وبالجملة النفس بعد تقويتها بالجنود والصفات التي هي بمنزلة العلل والأمراض لها اختيار في أعمالها وقدرة على أفعالها وليس صدور تلك الأعمال والأفعال عنها على سبيل الإلجاء والاضطرار فلها أن تترك

1 - جنود العقل تساعد في الخيرات وجنود الجهل في الشرور، والحقيقة أن الجند من حيث هم جند نسبتهم إلى الخير والشر سواء فجنود الملك قد تعينه في الجهاد وفتح بلاد الكفار وقد تعينه في الظلم والاضرار بالمسلمين وسلب الاموال وقتل النفوس، وجنود الجهل إذا اعتبرت من حيث وجودها في أنفسها لاشرية فيها بل هي خير من جهة وجودها الصادر عن الله تعالى. فإن قيل معنى قوله: اختبارا وامتحانا وتكميلا للحجة أن تلك الجنود تعين الجهل في الخيرات لا في الشرور إذ بأسباب الخير والسعادة يتم الحجة على المكلف لا بأسباب الضلال والعصيان. قلنا: ينفع السؤال بما ذكر من أن الجنود من حيث هم جنود لا شرفيهم وأن الجهل إذا استعملهم في الشر صاروا أشرارا وأعطاه الله جنودا يستعين بها في الخيرات ولم تكن اسماءها شرا كالحرص

والرياء فاستعملها في الشرور وهذه الاسامي التي تدل على الشرور إنما صارت لها بعد استعمال الجهل وإلا فليس الوجود الصادر عن المبدء إلا الخير المحض (ش). (*)
